المجلد:18 العدد: 01/ سبتمبر 2022
ص: 43 - 56
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

القراءة وسيميائية الخطاب الموازي عند جيرار جينيت

READING AND THE SEMIOTICS OF PARALLEL DISCOURS BY GERARD GENETTE

عدلان رويدي
جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل (الجزائر)، rouidiadlene@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/04/18	تاريخ القبول:2022/09/05	تاريخ النشر: 2022/09/18

****

ملخص:

جيرار جينيت من النقاد الكبار في النقد الغربي المعاصر والفرنسي على وجه الخصوص، وقد ألّف العديد من الكتب النقدية، في الدراسات السردية والسيميائية، وتاريخ الأدب، والقراءة، وتحليل الخطاب.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على المشروع السيميائي والقراءة عند جيرار جينيت، وهذا من خلال الوقوف على المرجعيات الفلسفية والمعرفية لهذا المشروع، ثم أهم المفاهيم النقدية الواردة في كتبه النقدية المهمة، كمفهوم النص والخطاب والقراءة والخطاب الموازي.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، جيرار جينيت، الخطاب الموازي، السرد، القراءة.

ABSTRACT :

Gérard Genette one of the great critics of contemporary western criticism and french in particular, he has authored many critical books , on narrative studies ,semiotics,Literary history ,Reading and discours analysis.

This Article attempts to shed light on the semiotic Project and Reading of Gérard Genette, *by standing on the philosophical ,and cognitive references for this project ,then the most important Critical Conscepts Contained in His important Critical Books Such as the Concept of Texe ,Discours,Reading and parallel Discours .*

***Key words**:* semiotics - Gérard Genette- *parallel Discours –Narration- Reading.*

1.مقدمة:

شكّل النص الأدبي على الدوام بؤرة حقيقية للدراسة والنقد والتحليل من قبل الدراسين والنقاد في الخطاب النقدي المعاصر، الذي شهد تحوّلا منهجيا وتطورا إجرائيا في التعامل مع النصوص الأدبية بمختلف أجناسها خصوصا مع تطور الدرس اللساني الحديث، الذي أحدث ثورة جذرية في حقل الدراسات اللغوية والنقدية وترك أثره البارز في أعمال الباحثين والمختصين في هذا الحقل الدراسي.

ومن بين القامات النقدية الغربية التي تركت بصماتها في الفضاء النقدي المعاصر، نجد الأستاذ والباحث والناقد الفرنسي جيرار جينيت Genette Gérard، المتعدد الاهتمامات والتخصصات، ويشهد على ذلك الكمّ الهائل من الكتب التي ألّفها هذا الباحث طيلة مسيرته التعليمية والعلمية في جامعة السوربون، ونشاطه النقدي الذي امتد من الشعر إلى الرواية الغربية بمختلف اتجاهاتها، حيث واكب تطوّرها عبر مساراتها المختلفة.

وفي ظل هذه المعطيات يمكن طرح العديد من التساؤلات المهمّة، المتعلقة بالمشروع النقدي لجيرار جينيت Genette Gérard، ومن أهمها:

-ماهي أهم المرجعيات الفلسفية والمعرفية لهذا المشروع النقدي؟ وماهي أهم الإضافات التي قدّمها هذا الباحث للدراسات السيميائية والسردية؟ وكيف كان تصوّره للشعرية والقراءة ؟.

هذه التساؤلات المختلفة يهدف هذا المقال إلى الإجابة عنها، من خلال اعتماد خطة منهجية تشمل العناصر الآتية:

-المرجعيات المعرفية والفلسفية لجيرار جينيت.

-قراءة النصوص السردية عند جيرار جينيت.

-من شعرية المتن إلى سيميائية التناص والعتبات.

-الشعرية والنقد الأدبي عند جيرار جينيت.

2-المرجعية المعرفية والفلسفية لجيرار جينيت Gérard Genette:

لم ينشأ هذا المعمار النقدي من فراغ، ولكن وضع قواعده وأسّس بنيانه العديد من التراكمات المعرفية والأدبية والنقدية والفلسفية، ضمن مراحل وحقب تاريخية مختلفة، بداية من الأدب الغربي القديم ونقده، وبحوثه المتعلقة بتاريخ الأدب والنقد اليونانيين، وصولا إلى النظرية الأدبية والنقدية الحديثة، من خلال الاستفادة من بحوث الشكلانيين الروس، خصوصا ما تعلق بعلم السرد وبنية النصوص السردية، حيث يمكن اعتبار الشكلانيين الروس من أوائل المنظّرين الذين قدّموا جهودا

كبيرة في هذا الحقل الدراسي، وشكّلوا مجموعة من التصورات التي تتعلق بطبيعة الأعمال الحكائية، والقوانين التي تحكم بنياتها الداخلية وعناصرها الشكلية المنتظمة، التي تشكّل مفاصل النص، فخلّفوا بذلك نظريات في علم السرد، صارت فيما بعد قاعدة أساسية في مقاربة النصوص السردية خصوصا لدى جيرار جينيت Gérard Genette، أحد أقطاب النظرية السردية المعاصرة، حيث استفاد من التراث الغربي القديم والبلاغة اليونانية والأرسطية والأفلاطونية من جهة، كما استفاد من انجازات اللسانيات الوصفية الحديثة وخصوصا التيار البنيوي في فرنسا، حيث نهل من مناهجها في تحليل النصوص، كما استفاد من السيميائيات باتجاهاتها المختلفة من جهة أخرى، وهذا من خلال ابتكاره لمجموعة من الإجراءات والمفاهيم والمخططات، التي تخصّ مكوّنات السرد والعلاقات الرابطة بينها، التي تشكّل شعرية النصوص السردية.

3-قراءة النصوص السردية عند جيرار جينيت Gérard Genette:

يمثل كتاب "خطاب الحكاية" بشهادة النقاد والدارسين المرحلة البنيوية من مشروع جينيت Genette النقدي الذي يعدّ مرجعا مهما للباحثين والأساتذة والطلبة في حقل السرد وعنصر الزمن خصوصا.

اشتغل فيه جيرار جينيت Gérard Genette على دراسة الخطابات السردية وأهمها الرواية، حيث جعل من رواية مارسيل بروست " البحث عن الزمن الضائع" محور دراسته، نظرا لما تحتويه من شعرية، وانزياحات على مستويات عدّة من مكوّنات السرد المختلفة، وفي مقدمتها الزمن السردي، حيث وقف على مختلف أشكال الزمن وتعرّجاته، وفي مقدمتها الصيغة والمدة والتواتر، ويبدو فيه جليّا التوجّه البنيوي لجينيت Genette، من خلال القيام بتحليل بنيوي دقيق لعناصر السرد، فعلم السرد يعدّ سليل البنيوية الشكلية حسب جيرار جينيت Gérard Genette، وقد حاول تطوير نظريته المتعلقة بالسرد في كتابه الثاني" عودة إلى خطاب الحكاية"، حيث أشار إلى عناصر أخرى فاعلة ضمن السرد كالمحاكاة والوصف ودورهما ضمن خريطة القص، وعلاقتهما بالشخصيات والأحداث خصوصا في مقال له حول حدود السرد، حيث يبدو له عنصرا «أساسيا ما ظلت الأفعال والأحداث جوهر المضمون الزماني والدرامي للقصة في حين يبدو الوصف ثانويا وزخرفيا»[1]، يأتي ليؤثث لعناصر القص ويعرّف بها، ويستجلي ما تخفيه من الداخل، وقد تناول جينيت Genette ثنائية القصة والخطاب بالتفصيل، حيث ميّز بين السرد الخالص والسرد بضمير المتكلم، كما في الرواية التقليدية، حيث أشاد بإيرنست هيمنغواي Ernest Heminegway، عكس الرواية الجديدة التي انزاحت عن طرق السرد المتداولة، وشكّلت لنفسها نمطا آخر في الكتابة السردية، يخلخل الثوابت السابقة المتعلقة بمكونات السرد، وفي مقدمتها عنصر الزمن والمكان، ويؤسّس لسرد ثوري ومتمرّد، يواكب التحولات التي يعيشها الانسان في تلك المرحلة التاريخية.

4-من شعرية المتن إلى سيميائية التناص والعتبات:

إلى جانب عنصر الزمن اشتغل جيرار جينيت Gérard Genette في مشروعه النقدي الموسّع على دراسة خطابات أخرى لا تقلّ أهمية عن الخطابات الواردة في المتون الروائية وهي النصوص الموازية، التي جعل لها شعرية متميزة تشكلّ المعمارية الروائية ككل، لذلك لابدّ لها من استراتيجية ناجعة في القراءة، وقد جاء هذ الجهد النقدي تتويجا لدراساته السابقة التي تتعلّق بدراسة عناصر السرد، فظهرت له العديد من المؤلفات الكثيرة بداية مع كتابه (صور)، ثم (جامع النص)، «ليحقق جينيت في كتابه عتبات seuils ما كان أجّله في كتاباته السابقة بتوسيعه لدائرة الشعريات وتنويعه لمداخلها بتخصيصه هذا الكتاب لأحد المواضيع المعقدة للشعريات / وهو المناص (paratexte)»[2]، وهذا يحسب لهذا الناقد الذي فتح بابا جديدا في مجال الشعرية وقراءة النصوص السردية وهو باب العتبات النصية، لذلك فتحت هذه الدراسات النظرية آفاقا جديدة للدرس السردي والشعري، من أجل مقاربة أكثر دقّة وعلمية للخطابات الأدبية والروائية على وجه الخصوص، والكشف عن الجوانب الجمالية داخل هذه الخطابات، وهذا لا يتمّ إلاّ من خلال القراءة الواعية، ومن ثمّ أراد خلق طقوس جديدة في قراءة الخطابات.
ثم طوّر بعدها جيرار جينيت Gérard Genette مفهومه للشعرية ووسّع من مجالها، بعدما كانت تهتم بالداخل نصي -باعتبار النص بنية مغلقة مكتفية بذاتها بعيدة عن كل تفاعل لما هو خارجي وسياقي-إلى شعرية جديدة منفتحة على مختلف المتفاعلات النصية والنصوص الهامشية، وهذا الجهد النقدي والتحوّل المنهجي الجديد في البحث عن شعرية جديدة، يعدّ علامة مميزة وفريدة في النقد الغربي المعاصر، صنعها هذا الناقد المتميّز، الذي أعاد الاعتبار لخطاب آخر لا يقل أهمية عن خطاب المتن، وهو خطاب العتبات النصية.

وهو مجموعة من الخطابات الهامشية والعلامات والحواشي التي تحيط بالنص من الخارج، فتترك أثرها الفاعل على مستوى الشعرية والدلالة، لأنها تمثل الخيط الدلالي الرابط بين الخارج نصي والداخل نصي، وهذا يحضر من خلال ثلاثة من كتبه النقدية المهمة وهي:

-مدخل لجامع النص introdiction a larchitexte 1979.

-أطراس palimpsestes 1982.

-عتبات seuils 1987.

5-الشعرية والنقد الأدبي عند جيرار جينيت:

ضمن الكتب السابقة الذكر يمكننا أن نكتشف تحوّلات الشعرية كموضوع نقدي عند جيرار جينيت Gérard Genette، خصوصا في الكتاب الثاني أطراسpalimpsestes، «فالتطريس من الطرس وهو اللوح الذي يكتب عليه وتعاد عليه الكتابة مرات متتالية، إلاّ أنّ ما سبق من الكتابة لا يمحى كلية بل يظل حاضر إلى مدى ما»[3]، وهذا الأمر ينطبق على العتبات، التي تتموقع خارج المتن، لكن أطيافها تبقى تلاحق هذا النص إلى أجل طويل وامتداداتها تبقى مستمرة وفاعلة الأثر.

وهنا تبرز العديد من المصطلحات النقدية، وفي مقدمتها:

1-5-مصطلح التعالي النصي transtextualite:

هو من أهم المصطلحات في مشروع جينيت Gérard Genette، «وهو كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة وخفية مع نصوص أخرى»[4]، هذه العلاقة تتخذ أشكالا عديدة، فضمن هذا المفهوم العام، تندرج خمسة مفاهيم جزئية أخرى تابعة ومهمة ومرتبطة ببعضها البعض وهي:

1-1-5-التناصية: intertextualité:

يلخصها جيرار جينيت Gérard Genette في قالب بسيط ومختصر، حيث يعتبرها «علاقة الحضور بيت نصين أو أكثر، بمعنى الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر»[5]، وهذا الحضور أحيانا يأخذ أشكالا صريحة وفي أحايين أخرى يأتي في صور مضمرة وغير صريحة منها:

أ-الشهادة: La citaion:

هذا المفهوم يعدّ «الشكل الأكثر وضوحا والأكثر حرفية»[6]، وهي لا تحتاج لمجهود كبير من قبل القارئ للوصول إليها، فهي واضحة وصريحة وفي متناول كل الفئات المتلقية مهما كانت مستوياتها.

ب-السرقة الأدبية: Le plagiat:

تمثل «الشكل الأقل وضوحا والأقل شرعية»[7]، وتحتاج إلى إعمال الذهن، وقراءة عميقة ومتبصّرة، لأنها لا ترد بصفة حرفية، ولكن يكون فيها نوع من الاجترار، الذي يخلق شعرية فريدة ويترك أثرا جماليا داخل النص الأدبي.

ج-التلميح: L'allusion:

هو «الشكل الأقل وضوحا وحرفية»[8]، وهو من أنواع التناص المبهمة والغامضة، لأنّ مفعوله لا يكون صريحا وواضحا، ولكن عبارة عن أثر غير مباشر يخلّفه نص في نص آخر، وهذا ما يفرض على القارئ التسلّح بثقافة كبيرة ومعرفة موسوعية، من خلال القيام بعملية الحفر، والتنقيب الدقيق للوصول إلى هذا النمط من التناصية.

2-1-5-المناصية: paratextualité:

هي من أهم هذه الخطابات وأكثرها تفرّعا وتشعّبا، وتمثل «العلاقة التي تربط النص بمحيطه النصي فالنص لا يقدم عاريا، إذ تصاحبه مجموعة من الانزياحات كاسم الكاتب، العنوان، المقدمة، التمثيلات. وهي تحيط به وتحميه كما تعمل على تقديمه وضمان تواجده بالعالم، وعلى تلقيه واستهلاكه على الشكل الحالي للكتاب»[9]، فكل ما يقف في واجهة القارئ من خارج النص، يمثل ضمانا لعقد القراءة واستمرارا لمغامرتها.

5-1-3-الميتانصية: Metaxtualité:

هي شكل آخر من أشكال التعالي النصي، وهي «علاقة التعليق التي تربط نصا آخر يشير إليه دون تسميته»[10]، وفي غياب التسمية ينبغي الكشف عن الرابط الدلالي بين النصين.

5-1-4-التعلق النصي: Hypertextulité:

هذا النوع من الخطابات يحتاج بدوره إلى اجتهاد من قبل المتلقي وإمعان نظر من طرفه، حيث يمثل «العلاقة التي تربط نصا لاحقا بنص سابق»[11]، بحيث يكون هناك خيط دلالي يربط بينهما ويشيد الفضاء الدلالي للنص، وعلى القارئ محاولة اكتشاف هذا الرابط.

5-1-5-الجامع النصي: Architextualité:

هو العنصر الأخير في تصنيف جيرار جينيت Gérard Genette، ويمثل «علاقة صماء تحركها إشارة من المناص... ومعرفة النص لقيمته الأجناسية والاخبار بها ليس شرطا إلزاميا»[12]، وهذا يكون من اختصاص المتلقين كقرّاء وكجمهور، الذين باستطاعتهم رفض عقد القراءة، والانطلاق في مغامرتها، ويؤثر عليهم تلقي الجنس الأدبي.

وبهذا التقسيم الدقيق والمفصّل يكون جيرار جينيت Gérard Genette قد منح العتبات نصيبا كبيرا من اهتمامات الناقد، خصوصا فضاء المناص، الذي منحه مكانة هامة ضمن مشروعه النقدي وتصوّره العام للشعرية، على اعتبار أنه يمثل أحد المداخل الرئيسية لتلقي وقراءة النص الأدبي، وعتبة فاعلة بإمكانها إثارة شهية القراءة.

ويعتبر مصطلح المناص (paratexte) من المصطلحات المعاصرة التي دخلت حقل النقد الأدبي من بابه الواسع ليصبح له مفعول كبير فيما بعد ضمن الدرس السيميائي السردي، ويصبح أحد المفاهيم الرئيسية في الدراسات التي تقوم بمقاربة النصوص الموازية داخل الأعمال الأدبية، والوقوف على شعريتها، لأنه يخلخل التصورات المسبقة للمتلقي ويكسر أفقه القرائي، و«يتشكل من رابطة هي عموما أقل ظهورا أو أكثر بعدا من المجموع الذي يشكله عمل أدبي»[13]، لذلك ينبغي التوقّف عنده بشيء من التفصيل والدقة، فهذا المصطلح خلال تطوّره عرف مسارات عديدة ومختلفة أرست به في نهاية المطاف على هذا المصطلح، الذي يبقى غير نهائي وثابت.

ويعتبر المناص (النص الموازي) عنصرا من عناصر التعالي النصي ويشكل مع التناص intertextualité ومعمارية النص Architextualité والميتانصية Metaxtualité والتعلق النصي Hypertextulité موضوع الشعرية كما حددها جيرار جينيت Gérard Genette في كتابه (أطراس) palimpsestes عام 1982، ليليه كتاب (عتبات) seuils الذي أسهب فيه في تحديد أنواع المناصات وزمانها وأشكالها ومبادئها ووظائفها.

وتنقسم كلمة المناص (Paratexte) إلى جزئين يشكل كل منهما وحدة لسانية ذات دلالة. (texte) وهي وحدة معجمية (Lexème) يرادف مفهومها معنى النص في اللغة العربية، و(para)

السابقة(Prefixe) وحدة مورفولوجية (Morphéme) يحيل مدلولها على معنى الما حول واجتماعهما يعطينا «ما حول النص» أو «النص الموازي» أو «النص الحاف» أو «النص المؤطّر» أو المناص، فقد اختلف ترجمة المصطلح ونقل إلى المصطلحية العربية بأسماء مختلفة[14].

ويعرّفه جيرار جينيت Gérard Genette في قوله «هو ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه وعلى الجمهور عموما، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات بصرية ولغوية»[15].
أمّا سعيد يقطين فيعرّف المناصة (Paratextualité) كما يلي: «إنّ المناصة هي عملية التفاعل ذاتها وطرفاها الرئيسيان هما النص والمناص (Paratexte)، وتتحدّد العلاقة بينهما من خلال المناص كبنية نصية مستقلة ومتكاملة بذاتها، وهي تأتي مجاورة لبنية النص الأصل كشاهد تربط بينهما نقطة التفسير أو شغلهما لفضاء واحد في الصفحة عن طريق التجاور كأن تنتهي بنية الأصل بنقطة ويكون الرجوع إلى السطر لنجد أنفسنا أمام بنية نصية جديدة لا علاقة لها بالأولى إلا من خلال البحث والتأمل»[16]، «فهي عبارة عن فضاء نصي يسيّج النص ويزوّده بمحيط متغير، وظيفته عموما هي المناصصة والتأطير لنص آخر يضم مجموعة هجينة من الدلائل التي تتقدم، تؤطره تمهده تعطل أو تغلق نصا معطى»[17].

فجيرار جينيت Gérard Genette يمنح المناص صفة الشمولية واللاّمحدودية بكل ما يحتويه من أنواع العتبات التي تمتلك قدرة على التأثير في المتلقي، فتخلق مساحة من التأويل والاحتمال، وتحدّد مسيرة القراءة من حيث المطاوعة والممانعة، ولذلك فهذا الفضاء يحوي الكثير من الرسائل المشفرة، والألغام اللغوية، التي تفتح باب الحوار مع القارئ، الذي يعمل على تفكيك تلك الألغام والشفرات، من أجل الوصول إلى المعاني المختفية داخله.

فهذا الحقل المحيط بالنص ليس «منطقة عبور فحسب، وإنّما منطقة معاملة قائمة على استراتيجيات ومصالح»[18] وتحتاج إلى تأمل عميق وقراءة واعية ودقيقة من قبل القرّاء.

وهكذا تتضح فضائية النص الموازي أو المناص بحصرها في النوع المادي لخطابه، أي خطاب حامل لهيئة مادية عبرها يحتل فضاءا محددا، قد يكون داخل النص أو خارجه، وانطلاقا من هذه الفضائية ذات التحديد المادي، ميّز جيرار جينيت Gérard Genette بين جنسين كبيرين من النص الموازي وهما:

5-2-النص المحيط :(Peritexte):

هذا النص يشمل كل خطاب مادي يأخذ موقعا داخل فضاء الكتاب، وهو «عبارة عن ملحقات نصية تتصل بالنص مباشرة كالغلاف والعنوان والإهداء والمقتبسات والمقدمات والهوامش»[19]، وأحيانا يندرج بين فجوات النص كعناوين الفصول أو بعض الإشارات والتلميحات.

5-3 – النص الفوقي:(Epitexte):

يشمل كل عناصر النص الموازي التي تتموضع بصفة دائمة أو مؤقتة خارج النص، وترتبط معه بعلاقة شرح أو تأويل أو تعليق أو حوار أو غيرها من أنواع الإضاءة المعرفية الموجهة لقراءة النص ضمن مقصدية تداولية محددة، وتشمل «كل نص بينه وبين الكتاب بعد فضائي وفي أحيان

كثيرة زماني أيضا يحمل صبغة إعلامية مثل الاستجوابات والمذكرات والشهادات والإعلانات»[20].

فهذه النصوص تدور حول النص ولكن عبر مسافة بعيدة جدا.

5-4-عتبة العنوان:

لقي العنوان اهتماما بالغا من قبل علماء السيمياء، خاصة ما يتعلق بالنصوص الأدبية باعتباره علامة إجرائية ناجحة في مقاربة النص بغية استقرائه وتأويله، «وهو مجموع العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس النص لتحدده وتدل على محتواها العام وتغري الجمهور المقصود»[21]، فهي تستفزّه وتمارس معه لعبة الاغواء التي تقوده لمداعبة النص، «فهو يعدّ علامة سيميائية ذات أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاتها، ومحاولة فكّ شفراتها الرّامزة»[22]، فهي لا تمارس التصريح وإنما تشتغل على عنصر التلميح والاشارة، الذي يضاعف من عنصر اللذة.

وتنبثق أهمية العنوان من سليل العنونة ذاتها، من حيث هو «مؤشر تعريفي وتحديدي ينقذ النص من الغفلة لكونه -أي العنوان -الحد الفاصل بين العدم والوجود والفناء والامتلاء»[23]، معه يعيش القارئ لحظة انتقال بين عوالم متناقضة متعارضة.
فالعنوان يمثل مفتاحا إجرائيا لاقتحام مجاهل النص، وهو أخطر البؤر النصية التي تحيط بالنص لأنّه يستفز القارئ ويجذبه إليه فتقع لذة القراءة، ويبرم عقد اتفاق معه، الذي هو عقد القراءة أو ينفّره منه فينقطع الفعل القرائي ويتوقف مشروع التأويل، «ويعدّ أول عتبة تواجه المتلقي وتستوقفه، باعتبارها مفتاحا أساسيا من مفاتيح النص، إذ أنّه المحور الذي يحدّد هوية النص أو تدور حوله الدلالات وتتعالق به وهو بمكانة الرأس من الجسد»[24]، وهو تكثيف دلالي لما في المتن، خاصة في الخطاب الأدبي المعاصر، الذي أصبح العنوان فيه خطابا حافلا بوظائفه التقليدية من تسمية وإغواء وإثارة ومنجزا، «كما يرد مفخخا بالتناص، واحتفاءه بالاختلاف مغايرة وتأجيلا، ومراوغته للحسم الدلالي، ملقّفا بالانتشار والانتثار لا يعرف الاستقرار أبدا ليكون قرين القلق والتيه»[25]، وهذا كله يحقق متعة القراءة، هذه القراءة التي تكشف عن الاستراتيجية التي ينتهجها المؤلف في عنونة نصه، وكذلك استراتيجيتها في الانطلاق من العنوان ثم محاصرة النص بالكامل.

فالعنوان يرتبط بنوع العلاقة التي تربطه بالنص، وبذلك لا يمكن اعتبار وجوده مجرد وجود عفوي فارغ من الدلالة التي يكون مصدرها النص الكبير أيضا، إنّه هنا «يمثل البنية العميقة للنص الأحق والتي لا يمكن إدراكها دون حركة مزدوجة صعودا ونزولا من العنوان للنص، ومن النص للعنوان»[26]، كما يرتبط في بنائه الدلالي ببعد جمالي وخاصة في بعده البصري من «التركيب وإبراز حروفه وكتابته بخطوط مختلفة (...)، كما أنّنا قد نجد في نصه جماليات إيقاعية وبيانية مثل السجع والتصوير وغير ذلك»[27]، ويندرج هذا ضمن وظيفة أخرى أساسية تتعلق بالقارئ من حيث التأثير فيه.

«فالعنوان قيمة سيميولوجية وإشارية تفيد في وصف النص ذاته»[28]، ولن تكتمل هذه القيمة السيميولوجية والدلالية إلاّ بربط العنوان بالنص، والبحث عن التقاطعات الدلالية الممكنة بينهما، والخيوط المعنوية المضمرة التي تجمعهما مع بعضهما البعض.

5-5-وظائف العنوان:

5-5-1-الوظيفة التعيينية أو وظيفة تعيين الهوية La fonction d' identification:

يقوم العنوان بتحديد أو تعيين كتاب ما، أي يمنحه اسما يحدّد هويته العلمية والمعرفية والأجناسية مثل شخص ما، ماعدا إذا استثنينا بعض العناوين المتجانسة والهامشية، نجد أنّ العنوان بصورة عامة هو اسم الكتاب بطاقة هويته «إنّنا نادرا ما نحدّد اسم المؤلف حين نطلب في المكتبة بعض الكتب المعروفة، فالعنوان مزية كافية لتحديد الهوية»[29]. هذه الهوية التي تمنح المتلقي تصوّرا عاما حول الكتاب.

5-5-2-وظيفة الوصف La fonction discriptive:

يقدم العنوان معلومات حول محتوى وشكل العمل الأدبي، فيقوم بذلك بوظيفة الوصف، وقد حدّد جيرار جينيت Gérard Genette الوظيفة الوصفية للعنوان من خلال تقسيمه إلى نوعين أو صنفين، ليكون كل صنف بدوره مقسّم إلى أنواع خاصة.

5-5-3– وظيفة الإيحاء La fonction de connotative:

يمتلك العنوان قيمة إيحائية، بحكم أنه يحيل إلى كل الدلالات التابعة والملحقة بالعنوان، لكنه من المستحيل تقدير هذه الإيحاءات أو افتراض قائمة تحددها مثل العناوين التي تتضمن مراجع تاريخية (quatre-vingt-treize) لفيكتور هيغو و (les chouons ou la bretagne en 1799) لبلزاك، توحي بالنوع الذي تنتمي إليه هذه الرواية (الرواية التاريخية)[30].

5-5-4– وظيفة الإغراء La fonction séductive:

تعدّ الوظيفة الإغرائية من الوظائف المهمة للعنوان والمعوّل عليها كثيرا، على الرغم من صعوبة القبض عليها لأنّها ترتبط ارتباطا وثيقا بالقارئ، لتثير فيه الدهشة وتكسر أفق توقعاته، وخاصة تلك العناوين المفخخة، التي تفتح باب الغموض والإبهام، وتمتنع عن التصريح لتمارس لعبة الغياب والاحتيال على القارئ، فتفتنه وتغريه على مداعبتها وممارسة طقوس التأويل عليها.

5-6-الإهداء:

هو أحد الأمكنة الظريفة للنص الموازي التي لا تخلو من أسرار تضيء النظام والتقاليد الثقافيتين لمرحلة تاريخية محددة وبالتالي، فالإهداء حامل لطاقة دلالية تمكّننا من تفسير النص وإزالة الغموض عليه، وعتبة الإهداء تقوم بتحديد خصوصية ونوعية المرسل إليه متجاوزة الوظيفة التزيينية والاقتصادية إلى الالتحام برؤية الشاعر «وتعكس عتبة الإهداء نوع العلاقة بين المهدي والمهدي له»[31]، ويتميز بطابع التصريح لأنّه يفصح لنا مباشرة عن الأشخاص المهدي لهم هذا العمل، وفي هذا الصدد يعرّفه جيرار جينيت Gérard Genette في قوله: «إنّ خطاب الإهداء هو بمثابة إفصاح (حقيقي أو مجازي) عن علاقة قائمة (بشكل أو بآخر) بين المؤلف وبعض الأشخاص أو الجماعات، تبرز وظيفته في خصوصية الإفصاح الذي يعلن ويخفي في آن واحد طبيعة هذه العلاقة»[32].

5-7–التصدير:

يحتل التصدير مكانا وسطا بين عتبات النص، فهو يعقب الإهداء مباشرة ويسبق النص ليكون قريبا منه، ويرد أحيانا قبل التمهيد، «والتصدير مصاحب نصي من جنس الاستشهاد، بل إنه الاستشهاد بامتياز على حدّ تعبير أنطوان كومينيان»[33]، والتصدير بوصفه نصا موازيا، لم يشغل حيزه قبل

بدء النص إلا كمؤشر نصي، «يرفع من وتيرة وظيفة الإغراء للنص الموازي عموما، ويمهّد الطريق إلى ردهات النص ومفازاته عبر التلميح إلى ثيمات النص، وهو بذلك يتقاسم مع عتبة العنوان تقنية اصطياد القارئ»[34]، الذي تستفزه وتغريه هذه التصديرات، ليتوقف عندها باحثا عن سرّ تموضعها داخل الرواية، لأنّ هذا التموضع لا يتمّ توظيفه اعتباطا، ولكن حتى يؤدي وظائف معينة على مستوى الدلالة والشعرية.

5-8-الإستهلال:

يعدّ الاستهلال عتبة مهمة ضمن العتبات النصية، فهو يمثل العنصر الأول في البناء العام للرواية «وهو واحد من العتبات النصية المحيطة بالنص والمساهمة في فهمه وتحليله»[35]، وقد لقي الاهتمام من قبل الروائيين والمبدعين، بحكم أهميته في إدخال القارئ في جوّ النص فهو يمثل «مدخلا من المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية والأساسية للعمل المعروض»[36]، كما يلعب دور المحفّز للأحداث السردية، ومقدّم للعالم التخييلي، وممهّد للحبكة السردية وعناصرها المتعاقبة، كما يعمل على إعداد القارئ وإثارته وتشويقه، وذلك عن طريق تغليف نصه باستهلال يقحمه بقوة في عوالمه السردية ويسلب ذهنه، ويمارس عليه لعبة الاحتيال فيزجّ به في فضاءات الأحداث بمجرّد مداعبته للنص في الحلقة الأولى.

5-9-المتفاعلات النصية:

يشكل النص السردي خليطا من عجين مركّب ذو بنية معقّدة، تنصهر ضمنها جملة من الأفكار و الرموز الأدبية والاجتماعية والتاريخية والدينية، التي تأتي في شكل بنيات نصية لتتفاعل مع النص التخييلي، مشكّلة النسيج السردي للنص، الذي يكشف عن رؤية المبدع باعتباره قطعة أساسية في المجتمع، فهو حامل لكل القيم المختلفة، التي توجّه إبداعاته على اعتبار أنّ النص السردي « قبل أن يكون متصورا ذهنيا أو معطى جماليا وهو دون ريب ذلك الفيض الدلالي اللغوي بكل محمولاته العاطفية وشحناته البيئية، يأتي على شكل تصوّر ما، وفق ما تمليه مخيّلة المبدع وذاكرته، ويكون بمثابة البدايات الأولية لنواته البدائية (...)، فالمؤلف يخضع لاختبارات تبرّرها إمكانات سوسيولوجية، ومنطقية تعكس مقدرة الإنسان الفعلية، عبر مواقفه ومعاناته وقوة الفعل لديه فاعليته»[37]، ونستنتج من هذا أنّ النصوص الموازية تقوم عليها بنيات النص، ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات، متمثلا في نقل مركز التلقي إلى النص الموازي، وهو الأمر الذي اعتبرته الدراسات النقدية الحديثة مفتاحا مهما في دراسة النصوص المغلقة، حتى تجترح تلك العتبات نصا صادما للمتلقي، له وميض التعريف بما يمكن أن تنضوي عليه مجاهل النص فلم تعد العتبات أشياء مهمّشة كالسابق تؤدي دورا هامشيا، بل أصبح لها دور مركزي في الكشف عن الأشياء المسكوت عنها والمختفية بين تلافيف النص، لهذا صوّب جيرار جينيت Gérard Genette اهتمامه لهذا النوع من الدراسة، ولهذا الفضاء الحاوي لطاقة دلالية وإيحائية يمكن أن تحيل القارئ إلى معنى النص وتوجيه فهمه وتأويله له، و وفق هذه الرؤية ينتقل جيرار جينيت Gérard Genette من شعرية النص إلى شعرية أخرى خارجة عنه تعرف بالمناص «الذي يشكل بنية نصية موازية أو مجاورة لبنية النص الأصل»[38]، ومازال حتى الآن يعرف حركية وتداولية، ويحقق عملية التفاعل مع النص الأصلي، ويمتاز بخصائص معينة، وهذا من خلال بعض الأشكال المختلفة، التي تهيمن على النص الروائي ويتم توظيف المناص حسب سعيد يقطين، «لتحقيق المفارقة بين بنيتين نصيتين (الأولى أصلية والثانية طارئة) حول وضعية معينة للمزيد من تحقيق التماثل أو الاختلاف بين البنيتين لغويا وأسلوبيا ومضمونيا»[39]، وعلى هذا الأساس يتّضح دور هذه الملفوظات التي

تتفاعل مع النص، فهي ليست فقط مجموعة من النصوص السابقة عليه أو المتزامنة معه فحسب، بل هي أيضا مجموعة النصوص المحيطة به، والتي تدخل ضمن ما يشكل مداخل تنفتح على النص دلاليا وجماليا وتأويليا، كالعناوين والمقدمات والصور والهوامش...إلخ، والتي تمتلك أهمية بناء النص، لما تشغله من وظائف نصية وتركيبية، ولما تمثله من دوال سيميولوجية فاعلة في تحقيق شعرية النصوص الأدبية.

هكذا تظهر نظرة جديدة في قراءة النص الأدبي، وفي مفهوم النص ذاته، خاصة مع ظهور مصطلح التناصintertextualité، الذي يمثل آلية من آليات القراءة، لأنّ عملية إنتاج النص هو ترحال عبر النصوص ينتهي بالتفاعل بينها ليتحوّل إلى لعبة دلالية مفتوحة على الدلالات المؤجلة التي يساهم القارئ المهندس في إنتاجها، فالنص كما تشير جوليا كريستيفاJulia Cristiva هو «جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بيت كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه والمتزامنة معه»[40]، وهذا التفاعل والحوار بين النصوص من الداخل والخارج، يمنح أهمية كبيرة للنص الموازي، ليكون طرفا فاعلا ضمن المعادلة النصية والجمالية.

6.خاتمة:

في ختام هذا المقال العلمي المتعلق بالقراءة وسيميائية الخطاب الموازي عند جيرار جينيت Gérard Genette تمّ التوصل إلى النتائج التالية:

- يعدّ جيرار جينيت Gérard Genette باحثا متخصصا في الدراسات السردية والخطابية، ومعمارا شامخا في حقل النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، وقامة علمية راقية في حقل الدراسات السيميائية، فأثره كبير جدا وبالغ الفعالية، خصوصا في نقد السرد ودراسة النصوص الموازية، حيث عرف معه الدرس السيميائي تطورات كبيرة وبرز مجهوده كمشروع معرفي يحمل سمات العلمية والأصالة.

- شهدت مرحلة جيرار جينيت Gérard Genette نموّا وتطورا كبيرين في حقل الشعرية والقراءة، على الصعيد المنهجي المتعلق بالتحليل النصي، حيث أضفى عليه طابعا مميزا، تمثل في البحث عن مفعول النصوص الموازية، ودورها في تشييد الفضاء الدلالي للنصوص، وأنظمة الدلالة داخل تلك الخطابات، في إطار سيمياء النص الموازي والمتفاعلات النصية، وهذا البحث يعدّ رؤية علمية جديدة في حقل الدراسات النقدية، المتعلقة بتحليل الخطابات السردية خصوصا، التي صارت تشتغل بأنساق جديدة من الأنظمة اللغوية، وأشكال التعبير والكتابة التي تشترط استراتيجية بديلة، في القراءة والتأويل.

- أسهم نموذج جيرار جينيت Gérard Genette في تحليل النصوص الموازية، في تعميق الوعي بمفعول هذه الخطابات، ودورها في تشكيل جمالية النصوص الأدبية، وقد ساعده على ذلك استثمار مفاهيم ومقولات الدرس السيميائي، حيث يتمّ من خلاله قراءة النصوص والخطابات الموازية بمختلف أنماطها.

- توصّل جيرار جينيت Gérard Genette إلى أنّ هذه المنتوج الأدبي، يشكل خطابا مكثفا من حيث المعنى حيث يساهم في إنتاج الدلالة، وتسويق جملة من القيم والأفكار والتصورات، من خلال نشاطه الرمزي وما يحتويه من مدلولات وشفرات، تستدعي تفكيكا وتشريحا عميقين واستراتيجية قرائية خاصة.

-ما يلاحظ على بحوث جيرار جينيت Gérard Genette هي أنها استندت كثيرا إلى أعمال الشكلانيين الروس والنظرية السيميائية، والتحليل البنيوي للحكاية، كما أخذت من دراسات رومان جاكبسون Roman Jakobson حول الأصوات اللغوية، ووظائف اللغة.

-بالعودة إلى مؤلفاته الكثيرة بداية من كتابه "مدخل لجامع النص" introdiction a larchitexte، مرورا على كتابه "أطراس" palimpsestes، وصولا إلى كتابه "عتباتseuils"، سوف نجد العديد من النماذج التطبيقية في بحوثه التي أجراها على روايات غربية، خصوصا روايات مارسيل بروست، حيث اشتغل على دراسة الزمن في رواية "بحثا عن الزمن الضائع".

-سخّر Gérard Genette مجهوداته الكبيرة، في الكشف عن مفعول النصوص الموازية، ضمن الخطابات الأدبية وهذا يفرض عليه، التوقف عند أشكال توظيف اللغة والألوان داخل هذه الخطابات الحابلة بمختلف الدلالات والمعاني، لذلك وجد جيرار جينيت Gérard Genette في السيميائية، والبنيوية ما يغني بحوثه، ويمنحها شرعية علمية، في مقاربة النصوص والخطابات.

- استفاد الكثير من الدارسين والباحثين من دراسات جيرار جينيت Gérard Genette، خصوصا في مجال دراسة الزمن داخل الأعمال السردية، ومقاربة الخطابات الموازية بمختلف أشكالها، وقد ساهمت جهوده الكبيرة، في إرساء دعائم منهج جديد في تحليل الخطابات والنصوص الموازية.

8. هوامش البحث:

.

---

(1)رامان سالدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص 101.

(2)عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون -منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص21.

(3)محمد مصفار: التناص بين الرؤية والاجراء في النقد (مقاربة محايثة للسرقات الأدبية عند العرب)، مطبعة التشفير، صفاقس، تونس، 2000، ص 22-23.

(4) Gérard Genette :Palimpsestes ,la littératur au second degré,Coll.poétique,ed,seuil,1982,p7.

(5) Ibid.p8.

(6) Gérard Genette :Palimpsestes .p8.

(7) Ibid.p8.
(8) Ibid.p8.
(9) Ibid.p7.
(10) Ibid.p7.
(11) Ibid.p10.
(12) Gérard Genette :Palimpsestes .p10.
(13) Gérard Genette : Seuil, ed du Seuil, Collpoétique, Paris, 1987, p 7-8.
(14)وسيلة بوسيس: بين المنظور والمنثور في شعرية الرواية، منشورات اتحاد الكتاب، الجزائر، ط1، 2009، ص67.
(15) Gérard Genette :Seuil, ed du Seuil, Collpoétique, Paris, 1987, p7.
(16)سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 1992، ص72.
(17)الطاهر روابنية: القراءة والتأويل-الترهين النصاني ومقاربة العوالم الممكنة في رواية-(التبيان في وقائع الغربة والأشجان) لفرج الحوار، مجلة التبيين، تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية، الجزائر، ع17، 2001، ص125.
(18) Gérard Genette :Seuil. p8.
(19)محمد الهادي المطوي: في التعالي النّصي والمتعاليات النصية، المجلة العربية الثقافية، تونس، السنة 16، ع52، ص196.
(20) Gérard Genette : Seuil, p7.
(21) Leo Hock : La marque du titre (dispositifs sémiotique d'une pratique textuelle), Mouton édition New York,1981.p17.
(22)بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص33.
(23)خالد حسين حسين: في نظرية العنوان-مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية-، دار التكوين للنشر، دمشق، (د.ط)، 2007، ص5.
(24)رامان سالدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص 101.
(25)خالد حسين حسين: في نظرية العنوان -مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية-، ص6.
(26)رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، ص110.
(27)محمد الهادي المطوي: شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق، عالم الفكر، مج28، ع1، يوليو 1999، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص458.
(28)عثمان بدري: وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص30.

(29) Vencent Jouve : Poétique du roman,paris ;2012 ; p10.

(30)Ibid. p12-13.
(31)محمد الصفراني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث(1950-2004)، النادي الأدبي، الرياض، ط1، 2003، ص141.
(32)عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص (البنية والدلالة)، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص23-43.
(33)نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص58.
(34)خالد حسين حسين: في نظرية العنوان-مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية-، ص383.

(35)جميل حمداوي: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص102.
(36)المرجع نفسه، ص 102.
(37)عبد القادر فيدوح: حدود السرد في قصة التين لعمار بلحسن، مجلة التبيين، تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية، الجزائر، ع7، 1993، ص42-43.
(38)سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي، ص72.
(39)المرجع نفسه: ص57.

(40)جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997، ص21.